

صاحب الجلالة يترأس افتتاح أشغال المناظرة الوطنية للاقتصاد الفلاحي

مراكش — ترأس صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني بالقصر الملكي افتتاح أشغال المناظرة الوطنية للاقتصاد الفلاحي، وبهذه المناسبة ألقى جلالته خطابا توجيهيا هذا نصه :

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

حضرات السادة :

حينما فكرت أن أستدعيكم لهذه المناظرة، وجدت نفسي أمام مشكلة الضمير، لأن هذه المناظرة ستعطيني المناسبة والفرصة لأصرح بكيفية علنية وعميقة ومستمرة ان اجتماعنا هذا من اللازم أن يكون إنذاراً على الصعيد الوطني، إنذاراً، لأن الظروف والملابسات التي تعيشها الأسرة البشرية والتي ستعيشها في العشر سنوات بل في الخمس عشرة سنة القادمة، ستكون فترة من أخطر الفترات على البشرية، بل من شأنها أن تؤدي بدول كالمغرب — الذي أصفه دائماً بالمملكة الزاهية والبهية والغنية — إلى ما أدى إليه تهديم سد مأرب باليمن، ذلك اليمن الذي كان جوهرة العالم الاسلامي والعربي من قبل.

والانذار خطير، لأنني لا أظن أن الجميع وصل إلى الوعي الكافي بالمشكل في نوعه وحجمه.

الانذار خطير، وأؤكد مرة أخرى ولو وجدنا البترول والنفط، ولو استخرجنا الوقود من الحجر النفطي أن الثروة الأساسية والدائمة بعد الله — والتي يمكن أن يعتمد عليها المغرب في غدوه ورواحه — هي الثروة الفلاحية.

الانذار خطير، لأننا إذا لم نواجه هذا المشكل بالشجاعة الكافية فسيمس هذا المشكل المغرب اقتصادياً وبشرياً ومصيرياً.

اقتصادياً، لأن المغرب سيظل يتقلص شيئاً فشيئاً، ويعيش منطوياً على نفسه وتصبح وسائله، وسائل سياسته ووسائل إشعاعه ووسائل اسماع صوته سائرة إلى الاضمحلال، بل إلى الانتهاء.

خطير بشرياً، لأنه في آخر الأربعينات كنت أسمع والدي سيدنا محمد الخامس رحمه الله يقول في خطبه : إن العالم القروي والبدوي يشكل نسبة ثمانين في المائة، ثم في أواخر الستينات وبداية السبعينات وجدنا أن العالم القروي يمثل فقط ما يفوق الستين في المائة بقليل !

والآن، العالم القروي يمثل ستاً وخمسين في المائة بالنسبة لمجموع سكان المغرب.

خطر بشري، لأنه لا تخفى عليكم عواقبه السياسية والاجتماعية والأمنية فيما إذا تراكم سكان لا يعرفون معيشة مدينة يأتون إليها ولا يجدون شغلا ويتركون البادية بدون عمل ويصبحون كأنهم ممسوخون في شخصيتهم وفي توازنهم الفكري والسلالي، هذا خطر سياسي وأمني على بلدنا، بقطع النظر عن الأنظمة التي ستعيش فيه ملكية دستورية أو ملكية مطلقة أو أي نظام آخر، فمهما انعدم التوازن البشري ظهر الخطر، (ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض).

العواقب المصيرية رغم ما يقوله بعض الكتاب من أن الدول لا تموت بالفقر ولكنها تموت بالذل، أعتقد



أن ذلك الذل يأتي به الفقر لأن الفقر من أسباب الذل ومن طرق الذل ومن سبل الذل، قال النبي صلى الله عليه وسلم : كاد الفقر أن يكون كفراً، وأي ذل أكبر من الكفر ؟

كيف يتوجب علينا أن نفكر في الموضوع ؟

أمام هذه المعطيات تعرفون أنني بطبعي رجل متفائل، ولكن التفاؤل شيء والواقع شيء، والانذار شيء، أمام هذه المعطيات كيف يتوجب علينا أن نفكر في الموضوع الفلاحي.

لا أظن أننا في ظرف ثلاثة أيام يمكننا أن نصل إلى وضع خطة نهائية، ولكن يمكننا على الأقل في ثلاثة أيام أن نفرق بين ما هو واقعي، وبين ما هو شعري وديماغوجي وسياسي والواقع لا يرتفع.

دعوناكم إلى مناظرة للتعليم علماً منا انه ليست هناك قضية قابلة للنظر وتجديد النظر كل سنتين أو ثلاث سنوات مثله، لأن المناهج تتبدل أو ربما الدراسات تتبدل، أو بعض المواد تظهر أهميتها من مواد أخرى، فالمهم أن يكون العمود الفقري للتعليم موجوداً، ولكن في كل ثلاث سنوات أو أربع سنوات يمكن للانسان أن يدخل التعديلات، أما الفلاحة فلا يمكن للانسان أن يدخل تعديلات على الاختيارات كل ثلاث سنوات أو أربع سنوات من جهة وضع خطة طويلة المدى، ثانيا ايانا أن نقع في المتناقضات، فإذا نحن اعتبرنا الفلاحة كصناعة وبقينا على النهج الذي نسير عليه اليوم فسنصبح من الناحية الصناعية نشجع الناس والخواص ليأتوا للعمل أكثر ما يمكن، وننفر الناس أكثر ما يمكن ليلا يعملوا في الفلاحة التي هي صناعة وتظل الدولة مستحوذة على جميع وسائل الانتاج من أرض وقروض وأسمدة وعدة مسائل ومسطرة إدارية، فلا يعقل أن نعتبر الفلاحة كقطاع صناعي، ونتادي على الصناع ونقول للخواص تعالوا، وحين يتعلق الأمر بالفلاحة الصناعية تنزل الدولة بكلكلها مستحوذة على جميع الوسائل البشرية والأرضية والتقنية، فإذا ما أضفنا بأن الفلاحة حين نعتبرها صناعة، ليست صناعة كالصناعات الأخرى تقتضي فقط التجهيزات الأولية والضرورية، ثم الوسائل المالية ثم الوسائل البشرية، أما الفلاحة فتقتضي كذلك التجهيزات الأساسية وهي موجودة، السدود والقنوات، الأطر البشرية موجودة ونوجدها، وهنا ينتهي التشابه بين الفلاحة والصناعة، فالفلاحة زيادة على ما تقتضيه الصناعة تقتضي الماء الذي ليس ضرورياً للصناعة، والفلاحة أكثر من ذلك تقتضي الفصول، فلهذا اعتبر شخصيا أن أحسن مدرسة للسياسة هي الفلاحة لأن الأمور بمواقيتها والأمور بفصولها، فالذي يريد أن يجني سياسيا قبل الوقت يجني الذي لم ينضج، والذي أراد أن يجني سياسياً بعد الوقت يجني المتعفن، فالسياسة والفلاحة مدرسة واحدة الا أنه في الفلاحة إذا لم يكن هناك محصول فمن الصعب إيجاده.

الفلاحة المغربية لابد أن ننظر إليها اليوم ككل، وليس كأجزاء من كل، ككل، لماذا ؟ لأنه أولا علينا أن نرضى المطامح الآتية : أولا تغذية مغرب اليوم، ثانيا تهيئة تغذية مغرب الألفين، ثالثا إذا أمكن وفي إمكاننا تغذية جيراننا في المنطقة والمغرب قادر على أن يوفر التغذية لنفسه ولمصيره ولجيرانه كذلك، سواء من ناحية الماشية او من ناحية الحبوب أو من ناحية الفواكه وكذلك من ناحية الخضر.

ستقولون الفلاحة تقتضي الفلاح وتقتضي الأرض نعم ولكن فلاح اليوم ينقسم إلى قسمين : أقلية وهي التي تحلق في هذا المستوى، وأكثرية وهي التي لا ترى يومياً إلا قوت يومها.

ولكن من المسؤول ؟ المسؤول هو نحن لسببين، السبب الأول اننا لم نعد فلاحين فكرياً ليحلقوا في ذلك المستوى، والسبب الثاني، أننا ولو ربيناهم ولو فهموا ووزعنا عليهم الفقر ولم نوزع عليهم الغنى، فليست قطعة



أرض من خمسة هكتارات هي التي تجعل الفلاح المغربي يفكر بكيفية فلسفية في مستوى السوق الأوربية المشتركة، لكن خمسة هكتارات في ماسة مثلا تعطي ربحا خالصا لصاحبها قيمته خمسة ملايين، وقد مضت مدة على بناء سد ماسة، لكن النتيجة لحد الآن هي أن جل الأراضي لا تخدم، لماذا ؟ السبب واحد أن السكان كانوا عربا رحلا ويربون الماشية، هذا بين قوسين، وفي دفتر الالتزامات الذي أعطي لهم منعوا عليهم كراء أرضهم وطلبوا منهم أن يفلحوها بأنفسهم، فالطماطم والفلفل والخضر التي تصدر لأوربا لا يمكن أن يأتي أي كان بين عشية وضحاها ويتسلط على زراعتها وإنتاجها ويصبح متخصصا في زراعة الخضر، وهكذا فإن تلك الناحية التي تضم أربعة عشر ألف هكتار قرب هشتوكة تقريباً والتي كان مقرراً أن توزع على شكل خمس هكتارات كفيلة بأن تضمن لكل فلاح فيها عيشة بكيفية شريفة، تقريباً بمستوى أربعة ألف درهم شهريا، لكنها إلى الآن لا تعطي المنتظر منها، لهذا لابد من مراجعة مقاييسنا من ناحية التوجيه التقني الفلسفي وكذلك من ناحية ماذا سنفعل بالثروات الأرضية الموجودة.

توجد لدينا أراض كثيرة وهي المسترجعة الرسمية أو غير الرسمية و لم أر دولة قط تكسب الأرض وتمتلكها، انه حقيقة شيء يعتبر ماساً بالعبقرية المغربية، اننا طيلة عشر سنوات لم نوجد الحل الكافي والناجع الذي يشفي الغليل لهذه الأراضي.

ومن تناقضاتنا التي أشرت إليها أننا ننادي على رؤوس الأموال الأجنبية وعلى الخواص المغاربة ونعطيهم التسهيلات والاعانات في الميدان الصناعي بينما نقوم بتأميم في الميدان الفلاحي، هذا من المتناقضات.

مطروح عليكم موضوع الأراضي المسترجعة، وليس طرح هذا الموضوع عليكم يعني انني أزيل للبرلمان اختصاصاته، لا أبداً، بل المقصود انكم أنتم الذين ستقترحون علينا الحلول التي ستقدم أمام البرلمان، وربما أن اجتماعكم هذا، وهذا الذي يجعلني أريد المناظرات، لا يكون فيه ذلك الدافع أو ذاك الضغط السياسي الذي يكون في البرلمان بفرقه وأحزابه ولجانه، ففي المناظرات يمكن الحديث بحرية أكثر ولا يبقى الانسان أسيراً للذين يوجدون في اليسار أو الذين يوجدون في اليمين أو الذين يوجدون في الوسط، بل يتحرر سياسياً وفكرياً.

فإذا أردنا حقيقة أن نبحث مشكل الأراضي، فأطلب منكم ألا تقترحوا على تجزئتها أو تفصيلها أو تقسيمها، لأن هذا سيكون منكم خيانة وليس جهلا، وسيكون تجاهلا اجرامياً بالنسبة للمغرب، بل اقترحوا الوسائل التي تعطينا فلاحتنا الصناعية، أعيطكم مثالا : في روسيا — روسيا بلد عندها النفط وعندها الذهب وربما عندها أكبر مدخرات العالم من الذهب، عندها الماس عندها عدد من الثروات، أموالها كلها موجودة، لكنها تتجه إلى الخارج لشراء الحبوب ولا تجد ما تشتريه، ورغم عدم وجود حصار أمريكي فإن ما تستجلبه من الحبوب لا يكفي لسد حاجياتها الاستهلاكية.

إذن، فما قيمة اكتشافنا للنفط أو اكتشافنا لغيره من المعادن الثمينة لماذا ؟ أقول كل هذا، أقوله لأن المغرب انطلق انطلاقة عمرانية وثقافية واقتصادية ودستورية وسياسية، المغرب حقيقة ليس في مستوى ما يظنه بعض الناس، ان المغرب في مستوى رفيع بشريا ولكن مهما كانت عبقريتنا ومهما كانت وطنيتنا ومهما كانت مجهوداتنا الوطنية، فانه إذا لم تكن لدينا وسائل سياستنا فسنكون أقزاما في بلد عظيم، وهذا مسخ وطني لا أرضاه ولا أظن أن هناك مغربيا يرضى بالمسخ الوطني.

بوسعي أن أدخل معكم في تفاصيل اللجان الأربع التي سيتم تكوينها كما يمكنني أن أتدخل شخصياً في



الأرقام، ومن واجبي أن أعطي انذاراً لأن هذه مهنتي وعليها أتقاضى مرتبي، الذي يعطي انذاراً في هذا المستوى لا يدخل في التفاصيل علماً منه بأن الناس الذين يتحدث إليهم يفهمونه ويفهمهم، انني لا أتحدث مع جهلة بالموضوع، بل أتحدث إلى الناس الذين يفهمونه، فهم إما فلاحون يفهمون الفلاحة، وإما سياسيون يفهمون مشاعري ومخاوفي، وإما آباء لعائلات يجب أن يعيش أبناؤهم في المستوى الفكري وفي المستوى الخلاق وفي المستوى البناء بالنسبة لافريقيا والعالم الاسلامي والعالم العربي والبحر الأبيض المتوسط، ولهذا لا يمكن للمغرب أن يؤدي رسالته إلا إذا كان في مأمن من الجوع، ثانيا أعرف المغرب، المغرب إذا جاع لا يعرف الاستجداء، وأقول لكم اننا لا نعرف الاستجداء ولن نستجدي أبداً، لا يمكنني أن أستجدي كما لا يمكنني أن أسمح لأي مغربي أن يستجدي دولة أخرى، الاعانة، نعم ؛ التكافل نعم، أما الاستجداء فليس من طبع المغاربة، وحتى لو فرضنا انه في طبعهم فسيقال عندما يجوع المغاربة سيذهبون للاستجداء، وأعرف انهم لن يفعلوا ذلك، كما أعرف انهم لا يعرفون الاستجداء.

إذن، الاختيارات لم تعد كثيرة، اختيارات وحيدة وواحدة، وهي : كيف يمكن أن نضع بلدنا وطاقاتنا البشرية حالا واستقبالا في مأمن من الغلبة، في مأمن من القهر، في مأمن من الاستجداء ؟ كيف نوطد للمغاربة أن يعيشوا كما عاش أجدادهم وكما عشنا نحن قادرين على الابتكار، قادرين على تحمل المسؤوليات، قادرين على التدخلات لصالح الاسلام، ولصالح افريقيا، ولصالح العروبة، وبكلمة واحدة على أن نلعب الدور الذي خلقنا له، لأن الله سبحانه وتعالى لا يفعل الأمور عبثاً، فلم يلحقنا في ملتقى البحرين وملتقى الحضارتين، ولم يعطنا سبحانه وتعالى الأراضي الخصبة والمياه العذبة الكثيرة، ولم يعطنا الشواطىء ويزيدنا منها في السنوات الأخيرة، لم يعطنا كل ذلك لنظل مكتوفي الأيدي ولنظل متواكلين.

لهذا حضرات السادة أعطينا توجيهاتنا لوزيرنا الأول ولوزيرنا في الفلاحة لتتكون أربع لجان، وطلبت أن تسند رئاسة هذه اللجان إلى رؤساء الفرق البرلمانية، لأن رؤساء الفرق إذا فهموا اللجنة والملفات التي أمام اللجنة فسيكونون أحسن مدافع في البرلمان عن السياسة الفلاحية وعن وزير الفلاحة كيفما كانت مشاربهم السياسية.

وأظن أن أحسن وسيلة لعمل المناظرة أن تجرى مناقشة عامة هذا المساء، وفي صباح الغد تشكل اللجان.

ولدي ما أقوله لكم في موضوع الفلاحة، ولكني أفضل أن أختم به عشية يوم الخميس إن شاء الله قبل أن نتوجه إلى الرباط لعيد العرش.

أردت أن يكون خطاب الافتتاح خطاب الانذار والتوعية، وأملي في الله أن تكونوا قد وصلتم إلى عمق الموضوع الذي وصلت إليه أنا وهو ليس عمقاً يسر، ولكنه عمق يوقظ وينهض الهمم.

ومسيرتنا نحو التنمية، نحو الثراء، نحو الغنى ليست مسيرة عجرفة ولا مسيرة تطاول ولا مسيرة غزاة، والله يعلم أنها مسيرة ليبقى المغرب قادراً على أن يلعب دوره البشري المعماري الحضاري لما فيه خير الأسرة العربية والاسلامية والأسرة العالمية كلها.

والسلام عليكم ورحمة الله.

الاثنين 18 ربيع الثاني 1401 — 23 يبراير 1981